

## دراسة معمارية و أثرية لجامع سيدي

### موسى الخذري -بسكرة-

الأستاذة : شلوق فتيحة

كلية الآداب و العلوم الإنسانية

قسم التاريخ

جامعة محمد خيضر -بسكرة (الجزائر)

#### **Résume :**

*Cet article tend a faire étudier l'ancien mosquée de la région (Mosquée Sidi Moussa El Khoudri) à M'cid Biskra; a porté Sur l'historique, l'architecture, et le coté artistique et décoratifs, et les positions des éléments fondamentaux (Salle de prière, le mihrab, minaret), avec l'étude spécifique indépendante de chaque élément en fonction de sa forme, d'origine, et les techniques de construction et les Matériaux.*

#### **ملخص:**

انتشرت المساجد بانتشار الإسلام؛ وتتنوع عمارتها تبعا للمكان والزمان، وبسكرة كغيرها من المناطق الإسلامية تضمنت في أحضانها منذ الفتوحات مساجد متنوعة، منها ما أصبح أطلالا وشواهد ومنها ما هو قائم يستغل لحد الآن، وفي هذا المقال نتطرق بالدراسة والوصف والتحليل من الناحية المعمارية والأثرية والفنية والزخرفية لجامع سيدي موسى الخذري بالمسيد ببسكرة.

## 1 – موقع الجامع وتاريخ إنشائه:

أ – الموقع: يوجد جامع سيدي موسى الخذري وسط حي لمسيد داخل غابات النخيل بالجهة الجنوبية الشرقية لمدينة بسكرة<sup>1</sup> عند نقطة تقاطع خطي طول و عرض (س،ع)= (175، 177.50)، وبسكرة \* مدينة تقع في جنوب الجزائر بإقليم قسنطينة؛ من أشهر الواحات الجزائرية، كانت عبارة عن قرية بربرية عتيقة عرفت أيام الرومان باسم فيسيرا (vescera) استخدمت كأحد المراكز الحربية التابعة لخط الليمس المخصصة لحماية الزاب، تقع على الضفة اليسرى لوادي بسكرة بحوالي 300م يسار طريق سيدي عقبة الحالي<sup>2</sup>، ذكرت في كتابات المؤرخين والرحالة العرب خلال فترة العصور الوسطى منهم ابن حوقل<sup>3</sup>، وعبيد البكري<sup>4</sup>، والشريف الإدريسي<sup>5</sup>، وابن خلدون<sup>6</sup>، وحسن الوزان (ليون الإفريقي)<sup>7</sup>، والورتلاني<sup>8</sup>، والعياشي<sup>9</sup>، والزباني<sup>10</sup>.

ب – تاريخ إنشاء الجامع: لم نقف على تاريخ محدد لإنشاء هذا الجامع، لكن هناك بعض الإشارات والدلائل المادية والتاريخية التي تمكننا من إرجاع تاريخ إنشائه إلى الفترة الممتدة بين القرنين الثاني والثالث الهجري بين الثامن والتاسع الميلاديين؛ تتمثل في:

\* الطراز المعماري ومواد البناء ووسائل الدعم وخشب النخيل الذي سقّف به الجامع والمستعملة في جامع سيدي عقبة الذي رجحه الكثير من الباحثين أنه أسس في الفترة الممتدة بين عودة الفتح الإسلامي إلى إفريقية ونهاية حكم أسرة الفهريين سنة 140هـ-758م؛ أي القرن الأول والثاني الهجري، لذلك لا

يستبعد أن يكون تأسيس هذا الجامع في فترة قريبة من تاريخ تأسيس جامع سيدي عقبة<sup>11</sup>

\* ذكر الجامع من قبل أبو عبيد البكري عند وصفه لمدينة بسكرة: "...وبها جامع ومساجد كثيرة..."<sup>12</sup>، وبما أن أبا عبيد البكري توفي سنة 487هـ-1094م؛ نستنتج أن تاريخ بنائه يعود إلى ما قبل ذلك.

\* يمكن القول إن هذا الجامع أسس في أواخر عهد الدولة الأغلبية التي كانت ما بين 184هـ و296هـ/ 800م و909م حيث يذكر عبد الرحمن الجليلي: " أن المغرب العربي منذ عهد الفتح الإسلامي إلى زمن انتصاب الدولة الأغلبية كان منقسما إلى خمسة أعمال هي: طرابلس..، وقسطيلة..، وتونس..، وبلاد السوس أو المغرب الأقصى..، والخامس من هذه الأعمال هو بلاد الزاب الجزائري وقاعدته مدينة طبنة على بعد ثلاثة أميال جنوبي بريكة وتارة بسكرة " <sup>13</sup>، وهذا الجامع الأقدم في مدينة بسكرة بل هو ثاني أقدم الجوامع بمنطقة الزيبان بعد جامع سيدي عقبة، يعتبر من العمائر الهامة خلال العهد العثماني وهذا ما نستشفه من وصف الرحالة العياشي في قوله: " ودخلنا المسجد وطلعنا مئذنته وهي في غاية الإتقان والطول والسعة، تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها، وأدراجها مائة وأربع وعشرون درجة، والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء " <sup>14</sup> ، كذلك الورتلاني: " وهذه المدينة كانت قاهرة عظيمة البنيان والجامع الأعظم يدل على ذلك، فإنه لا نظير له وصومعته ما أحسنها وما أوسعها " <sup>15</sup>، وبالنسبة لتسميته بموسى الخذري فإننا نجعل كل شيء عنها، ما عدا أنه مدفون به ولا نعلم إن كان هو مؤسسها أو أنه أنشئ ثم نسب إليه ؟ لكن ما هو متداول لدى المشرفين على الجامع ؟ أن الخذري من قبيلة الخذران جمع خذري والخذرية المنحدرين من فرقة

الرياح الفرع الثاني من بني هلال بني عامر وأنه من التابعين، وحجتهم في ذلك ما ورد في الوثيقة التاريخية التي عثر عليها في جدار صومعة الجامع وقت هدمها لإعادة بنائها سنة 1140هـ - 1727م والتي جاء فيها لفظ التابعي: " هذا هو القرار التاريخي بإعادة بناء منارة المسجد المبني من طرف المجاهد تابع صحابة رسول الله مولاي سيدي موسى الخذري"، ويمكن أن يكون من الأولياء الصالحين الكثيرين بالمنطقة كما أشارت الكتابة الموجودة عند مدخله والتي جاء فيها: "هذا مسجد الولي الصالح سيدي موسى الأخذاري"، إلا أننا نرجح الرأي الأول على اعتبار أن الفترة التي أسس فيها كانت قريبة من الفتح الإسلامي للمنطقة، وعلى غرار احتضان تهودة لرفاة 300 شهيد من أتباع الفاتح العظيم عقبة بن نافع، ونعتقد أن يكون الخذري من التابعين، أما وصفه بالولي الصالح قد يكون مرتبطا بالفترة الزمنية التي وضعت فيها هذه الكتابة حيث انتشرت الطرقية والمرابطون بشكل واسع واستعملت الكثير من المصطلحات المماثلة. وبما أن الجامع قديم فأكيد أنه أصلح ورمم عدة مرات لكن ما هو موثق منها قليل ويعود إلى فترات تاريخية متأخرة؛ منها العثمانية وهذا ما جاء في الوثيقة التاريخية السالفة الذكر، التي تبين أن الجامع رمم بإعادة بناء منارته التي تكون قد تهدمت إما بفعل ظروف طبيعية أو لهشاشة مواد بنائها وإما بسبب الاضطرابات التي تعرضت لها المنطقة في الفترة الممتدة ما بين استقلالها وتحررها من سيطرة بني حفص في أوائل القرن السادس عشر الميلادي وتعرضها لحملة الأتراك في منتصف نفس القرن<sup>16</sup>، ومما جاء في الوثيقة: "...إعادة بناء منارة المسجد... أثناء صلاة الظهر في اليوم الثاني والعشرين (22) من شهر الله

الأقوى شهر رجب المفرد من عام 1140 هجري"، أما في العهد الاستعماري فقد رُم عام 1369هـ-1950م وهذا ما دلت عليه كتابة نقشت على لوحة من الرخام كانت معلقة على الجدار الخارجي عند مدخله، كما أعيد بناء المنارة سنة 1373هـ-1954م وهذا ما لاحظناه من خلال مخطط المئذنة الذي وجدناه لدى الإمام، وفي الاستقلال عرف الجامع عدة ترميمات وتوسيعات نذكر منها ما تم في الثمانينات حيث وسع من الناحية الشمالية ورُم بنيانه، وآخر التوسيعات والترميمات كانت سنة 1419هـ-1998 وهذا ما تدل عليه لوحة الرخام الموجودة على الجدار الخارجي عند المدخل الرئيسي، حيث عرف توسيعا هاما من الناحيتين الجنوبية والغربية، وجهد بمختلف المرافق الضرورية.

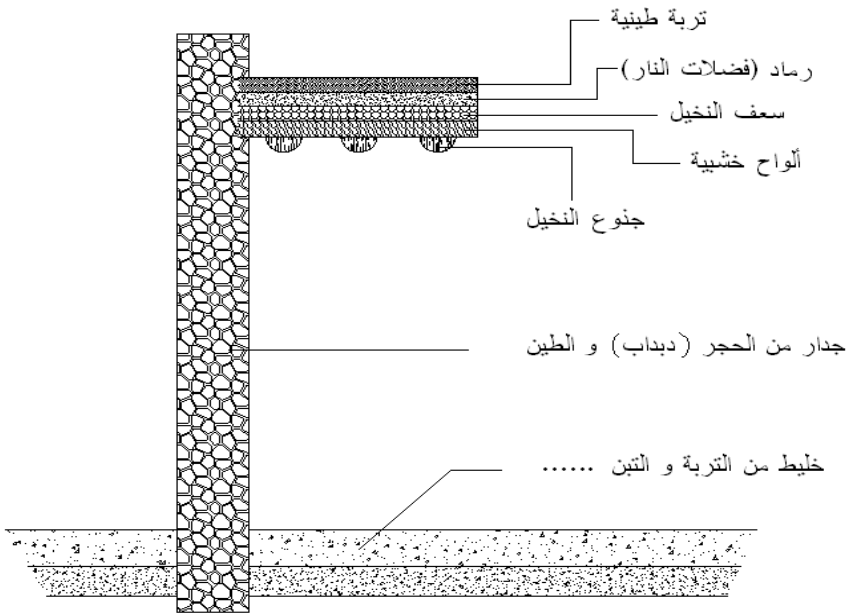
## 2 - الدراسة المعمارية :

أ - الوصف الخارجي: (الشكل رقم:01)؛ كان تخطيط جامع سيدي موسى الخذري يشبه إلى حد كبير تخطيط جامع سيدي عقبة القديم، حيث لهما نفس العناصر المعمارية رغم أن مساحته أقل، إلا أنه مطابق له من حيث العناصر الأساسية مثل الصحن والأبواب والمحراب والبلاطات، فهو على شكل مضلع غير منتظم<sup>17</sup>، يتجه على أساس الشارع من الشرق إلى الغرب يبلغ عرضه 28,40م وجوفه 16,20م، يحيط به جدار بارتفاع 5م وسمك 0,70 م، به صحن مستطيل الشكل مقاساته (8,30م x 5,20م)، يقوم سقفه على أربع سوار (أعمدة) من غير أقواس، يدخل إليه من بابين في الجدار الشمالي يبلغ عرض كل باب 1,40م وارتفاع 2م وهو مفصول عن بيت الصلاة بجدار به باب، وللجامع مدخل بالركن الشمالي مستطيل الشكل مقاساته (5,40م x 6,20م)، يدخل إليه من الخارج بواسطة بابين بجداره الشمالي عرض كل

واحد منهما 2م وارتفاع 2,20م، وينفذ منه إلى الصحن من خلال بابين بجداره الجنوبي عرض كل واحد منهما 1,40م وارتفاع 2م، يتصل بهذا المدخل بجوار الجدار الشمالي للجامع ممر مستطيل مقاساته (2,50م x 11,40م) وإلى جانبه من الناحية الجنوبية ممر آخر بالركن الشرقي يمتد من الصحن ويؤدي إلى بيت الوضوء وهو مستطيل الشكل مقاساته (1,30م x 7,60م)، سقف الجامع مستوٍ به قبة نصف كروية الشكل تعتمد على قاعدة أسطوانية يعلوها جمور من النحاس، ومئذنة تقع في الركن الشمالي الشرقي لبيت الصلاة. وفي الإصلاحات التي تمت سنة 1998 (الشكل رقم: 02)؛ حافظ الجامع على الشكل المصلح غير المنتظم مع إلغاء الصحن وبعض الغرف والأروقة التي ضمت لبيت الصلاة وأصبح عرضه 35,70م وجوفه 21,55م، مع سبعة أبواب اثنان منها في الجدار الشمالي تفتح على الخارج بعرض 1م وارتفاع 2م لكل باب واثنان في الجهة الشمالية الغربية وهي المداخل الرئيسية للجامع بعرض 1,60م وارتفاع 2,20م لكل باب، وواحد في الركن الجنوبي الشرقي وهو مدخل الإمام إلى مقصورته من الخارج، وواحد في الجدار الجنوبي يؤدي إلى مسكن الإمام وآخر في الجدار الغربي يؤدي إلى السدة؛ لكل هذه الأبواب نفس العرض 1م ونفس الارتفاع 2م، وبقي ممر واحد في الجهة الشمالية يؤدي إلى مدخل النساء ومدخل المائضة، أما مواد البناء وتقنياتها



فهي بسيطة ومحلية تتمثل في الحجر المتوفر بالمنطقة (الدبداب ♦) والطابوق أي الطوب الطيني الذي بنيت به الجدران وأعمدة من الخشب الذي توفره النخيل الذي أستعمل في التسقيف وفقا للتقنية المبينة في الشكل التالي:



**الشكل رقم: 02**  
**تقنيات ومواد البناء**  
 بتصريف عن ( علي محمد فاضل بن الشيخ الحسين، ص 267)



**ب - الوصف الداخلي :**

**ب.1 - بيت الصلاة:** مربعة الشكل كبيت صلاة الجامع العتيق ببرج بن عزوز طول ضلعها 8,45م تحتل الناحية الشرقية للجامع، وبعد توسيعه من الناحية الشمالية أصبحت على شكل مضلع محدب بعمق 12,80م، تشتمل على ثلاث بلاطات موازية لجدار المحراب عرضها 2,50م تخرقها ثلاث بوائك عمودية على جدار المحراب بطول يساوي طول ضلع بيت الصلاة. تقوم بوائك بيت الصلاة على أربع سوارى وصفين من الأقواس عموديين وصفين آخرين موازيين لجدار المحراب، بتوسيعها أصبح طول البلاطتين الخلفيتين والموازيتين لحائط القبلة يساوي 12,80م.

تشتمل بيت الصلاة على خمسة أبواب توجد ثلاثة منها بالجدار الغربي؛ يفتح الباب الأول على الصحن وهو بعرض 1,20م وارتفاع 2م والباب الثاني إلى يسار الأول يؤدي إلى الضريح عرضه 1م وارتفاع 2م، أما الثالث فهو إلى اليسار من الباب الثاني يؤدي إلى المئذنة يبلغ عرضه 0,80م وارتفاعه 2م، ويوجد باب رابع بالجدار الشمالي يفتح على الخارج عرضه 1م وارتفاعه 2م، أما الخامس فهو في الركن الشمالي الشرقي يؤدي إلى غرفة صغيرة بعرض 0,80م وارتفاع 2م، وبالنسبة للنوافذ توجد إثنان ببيت الصلاة بحائط القبلة، واحدة تعلو المحراب عرضها 0,50م وارتفاعها 0,80م وأخرى إلى يمين الأولى بعرض 0,90م وارتفاع 1,30م، للجامع بيت وضوء منفصلة عنه مستطيلة الشكل مقاساتها (14م x 5م) وهي غير مجهزة<sup>18</sup>، وفي التوسيعات الحديثة 1998م أصبحت بيت الصلاة على شكل مضلع غير منتظم (بعمق 21م، تشتمل على أربع بلاطات موازية للجدار الشرقي بعرض 2,50م

للقديمة و4,60م للجديدة وستة بوائك عمودية على الجدار الشرقي للجامع، طول البانكتين الجديديتين 15,50م لكل واحدة منهما، أصبحت بيت الصلاة تشتمل على ستة أبواب أربعة منها في الجدار الغربي والغربي الجنوبي تفتح على الخارج كما سبقت الإشارة لذلك، وواحد في الركن الشمالي الشرقي قرب المحراب بعرض 0,80م وارتفاع 2م يفضي إلى مقصورة الإمام، وفي الركن الجنوبي الغربي باب بعرض 1م وارتفاع 2م يؤدي إلى غرفة هي بمثابة مخزن، أما النوافذ فلم يحدث عليها أي تغيير، كما استحدثت مائضة جديدة في الجهة الشمالية مستطيلة الشكل مقاساتها (7,70م x 10,90م) مجهزة بكل المرافق الضرورية نجد في الجامع مباني أخرى إضافية مثلما هو الشأن في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وهي عبارة عن غرف وقاعات منها غرفة صغيرة مثلثة الشكل يبلغ جوفها 2,40م وقاعدتها 4م مساحتها  $4,80\text{م}^2$  يدخل إليها من باب في جدارها الجنوبي يبلغ عرضه 0,80م وارتفاعه 2م وهي خاصة بالإمام، وفي الركن الجنوبي الغربي نجد قاعة مستطيلة الشكل بقياس (7,20م x 6,20م) لها باب في الجدار الشمالي عرضه 1م وارتفاعه 2م ومنها يدخل إلى غرفة أخرى في الناحية الجنوبية مستطيلة مقاساتها (2,80م x 6,20م) لها باب في الجدار الشمالي عرضه 0,80م وارتفاعه 1,20م<sup>19</sup>.

في التوسيعات الأخيرة بقيت غرفة الإمام على حالها وبنفس القياسات لكن الغرفتين الموجودتين في الناحية الجنوبية ضمنا إلى بيت الصلاة، وبقيت غرفة واحدة صغيرة في الركن الجنوبي الغربي مستطيلة الشكل بقياس (3,65م x 2,80م)، يوجد بالجامع ضريح سيدي موسى الخذري وهو يحتل

الركن الشمالي الغربي لبيت الصلاة في غرفة مستطيلة الشكل قياساتها (2,55م x 3,15م) تعلوها قبة بسيطة، يدخل إلى الغرفة من باب متجه نحو المحراب يقدر عرضه 1م وارتفاعه 2م، وغير باب الضريح من الحائط الشرقي إلى الحائط الغربي بالقياسات التي أشرنا إليها سابقا.

**ب.2 - المحراب:** كان يتوسط الجدار الجنوبي، (الشكل رقم:01)؛ وباكتشاف خطأ اتجاه القبلة؛ حول إلى الركن الشرقي الجنوبي، كان عبارة عن تجويف معقود يبلغ عرض فتحته 1,20م وعمقه 0,90م وبارتفاع 2,20م، الجزء العلوي من التجويف مغطى من الداخل بنصف قبيبية بسيطة بارتفاع 0,60م، أما الجزء السفلي منه فهو أيضا بسيط وأملس، يحتوي المحراب على قوس نصف دائرية يبلغ ارتفاعها 0,60م وقطرها 1,20م به حافة مستطيلة بسيطة غير مزخرفة وتعلو واجهته نافذة تفتح في الجامع، أما بقية مساحة واجهة المحراب فتخلو من الزخرفة<sup>20</sup>.

أما المحراب الحالي؛ فهو بنفس الشكل السابق أي تجويف معقود بعرض 1م وعمق 0,90م وارتفاع 2,30م؛ مغطى في جزئه السفلي بالخزف المطلي حتى ارتفاع 1م، أما الجزء العلوي فتعلوه نصف قبيبية بسيطة بارتفاع 0,70م، تزين واجهته في الجزء العلوي لوحة جصية مزخرفة مربعة الشكل يفتح في وسطها قوس مكسورة، تقوم في كل جانب من جانبي المحراب سارية جصية ذات شكل أسطواني ملتو بارتفاع 1,30م وقطر 0,20م؛ يعلوها تاج جصي مربع مزين بأخاديد وبعض الأشكال النباتية والهندسية الحديثة.

إلى جانب المحراب نجد منبرا حديثا بسيطا من الخشب بطول 1,40م وعرض 0,90م وارتفاع 1,25م، له مدخل بارتفاع 2م يحيط به إطار غير مزخرف يتكون من قائمتين وقوس ضامة، له خمس درجات بارتفاع 0,16م

وعمق 0,28م، ليس له مشكاة.

### ج - العناصر المعمارية: وتتكون من:

**ج.1 - الروافع:** توجد ثلاثة أنواع؛ أعمدة ودعامات وأقواس، فبالنسبة لـ:  
**- الأعمدة (السواري):** كان يوجد في جامع سيدي موسى الخذري مجموعة من الأعمدة بعضها في بيت الصلاة وبعضها في الصحن، وكل عمود يتكون من قاعدة وبدن وتاج؛ وهي مختلفة من حيث مواد تكوينها؛ فالبعض منها بدنها من جذوع النخل مثل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>21</sup>، والبعض الآخر منحوتة من الرخام والحجارة أخذت من المباني الرومانية والبيزنطية التي كانت متواجدة بالمنطقة<sup>22</sup>، إلا أن حسين مؤنس يذكر أن أعمدة مساجد الزاب مبنية من الآجر<sup>23</sup>.

تقوم بيت الصلاة على أربعة أعمدة أسطوانية الشكل مغطاة بطبقة سميكة من الجص يبلغ قطرها 0,30م وارتفاعها 2م بما في ذلك التاج، لم تصنع لها قاعدة ترتكز عليها، تتوزع على صفيين موازيين لجدار المحراب، في كل صف عمودان؛ بدنها يتكون من الحجارة المنحوتة مثل ما هو الشأن في مسجد قلعة بني حماد<sup>24</sup>، والدليل في ذلك أن تيجانها من الحجارة وهي تشبه الأعمدة الموجودة في بيت الصلاة بجامع سيدي عقبة؛ مازالت هذه الأعمدة على حالها لكن معالمها متلفة بسبب تغطيتها بطبقة من الجص وطبقة أخرى من الخزف المطلي حتى ارتفاع 1م، وعند ترميم العمود الرابع الموجود في الجهة الشمالية الشرقية تم تغيير شكله من الاسطواني إلى المربع بطول ضلع 0,40م. وفي صحن الجامع نجد أربعة أعمدة موزعة على صفيين موازيين لجدار مؤخرة بيت الصلاة، العمودان الأماميان شكلهما أسطواني قطر كل

منهما 0,24م يرتكزان على قاعدتين أسطوانيتي الشكل بقطر 0,28م وارتفاع 0,38م، أما العمودان الخلفيان فهما على شكل رباعي الأضلاع بطول ضلع 0,24م يقومان على قاعدتين ذات شكل متوازي المستطيلات طول ضلع كل واحدة منهما 0,25م وارتفاع 0,35م وهذه الأعمدة ذات ارتفاع واحد هو 4,60م وهي من خشب النخيل<sup>25</sup>، أزيلت هذه الأعمدة الموجودة بالصحن وعوضت بأخرى من الحديد والإسمنت مربعة الشكل طول ضلعها 0,30م، وفي توسيعات 1998 أضيفت عشرة أعمدة جديدة من الحديد والإسمنت مربعة الشكل طول ضلعها 0,30م؛ ثلاثة منها توجد إلى جانب دعائم الحائط الغربي لبيت الصلاة القديم وأربعة في وسط التوسعة الجديدة لبيت الصلاة على استقامة واحدة من الشمال إلى الجنوب والخامسة قريبة من العمود الرابع الموجود في الجهة الشمالية، واثنان إلى جانب دعائم بيت الصلاة القديمة في الجهة الشمالية.

بالنسبة لأعمدة بيت الصلاة القديم تعلوها تيجان منحوتة من الحجارة يقدر ارتفاع كل واحد منها 0,50م ويتكون من قسمين: قسم علوي على شكل موازي المستطيلات بارتفاع 0,30م وطول ضلعه 0,40م بدون زخرفة، والقسم السفلي على شكل مخروط بارتفاع 0,20م وقطره الكبير 0,40م والصغير 0,30م مزين بأوراق الأفنثة مثل ما هو الشأن في مسجد قلعة بني حماد<sup>26</sup>، حيث نجد ثلاثة صفوف من أوراق الأفنثة؛ الصف الأول به ثمانى أوراق، والصف الأوسط به عشر أوراق، أما الصف الأعلى فهو مغشى بطبقة سميكة من الجص بسبب عمليات الترميم حيث أصبحت مكوناته غير واضحة ونفس الشيء بالنسبة لزخرفته التي طمست تماما سواء بطبقة من الجص أو بطلاء سميكة.

— **الدعامات:** يوجد بالجامع ثمانية أنصاف دعائم تتوزع كما يلي:

اثنان في كل جدار من جدرانه الأربعة بارتفاع 2,50م وعرض 0,86م وبروز 0,18م، بعد توسيع بيت الصلاة من الناحية الشمالية (خلال الثمانينات) أضيفت نصف دعامة بالجدار الشمالي وتحول نصف الدعامة الذي كان به إلى دعامة مضلعة بارتفاع 3,15م وعرض 1,16م، وفي مدخل الجامع نجد دعامتين رباعيتي الأضلاع طول ضلعيهما 0,80م وارتفاع الدعامة الأمامية 2م والخلفية 3م<sup>•</sup> ، يوازي الدعامة الأمامية نصف دعامة بارتفاع 2م وعرض 0,80م وبروز 0,20م؛ البعض من هذه الدعائم مبني بالطوب (اللبن) والحجارة والبعض الآخر بالإسمنت، وبعد تهديم جداري بيت الصلاة القديمة الغربي والشمالي تحولت أنصاف الدعائم السابقة الذكر إلى دعائم مستطيلة الشكل مقاساتها (0,40م x 0,60م) مغطاة حتى ارتفاع 1م بالخزف المطلي.

— **الأقواس:** نجدها في بيت الصلاة القديمة؛ وهي أقواس متجاوزة لنصف الدائرة وتبدأ باستقامتين مثل الأقواس الموجودة بالجامع الكبير بقسنطينة<sup>27</sup> والجامع الكبير بنلمسان<sup>28</sup> يساوي قطرها 2,30م وعرضها 0,30م وارتفاعها 2,20م، وما بين الأقواس والتيجان نجد أخشابا من العرعار استعملت كقضبان لتثبيت فتحات الأقواس، كما نجد في فتحة كل قوس خشبتين موضوعتين فوق بعضهما البعض تفصل بينهما فجوة، يمكن اعتبار هذه العناصر بمثابة **الكتف**، **الركيزة** و**الطنف**؛ التي يستعملها المعماريون لزيادة ارتفاع سقف بيت الصلاة، مثلما هو الشأن في مسجد

دمشق والجامع الكبير بالقيروان وجامع الزيتونة ومسجد أبي مروان بعنابة والجامع الكبير بقسنطينة ومسجد تلمسان<sup>29</sup>

**ج.2 - السقف:** يغطي جامع سيدي موسى الخذري سقف يتطابق مع سقف مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم<sup>30</sup> في النظام وفي مادة البناء؛ فهو يقوم على خشب النخيل والجريد بخصه والطين والجص في شكل أروقة تقسم بيت الصلاة، ( الشكل رقم:02) أما قاعة الصلاة الجديدة فهي مسقفة بمواد حديثة (الإسمنت والحديد).

**ج.3 - القباب:** بجامع سيدي موسى الخذري قبة واحدة نصف كروية الشكل توجد فوق الضريح مثل مسجد السلطان حسن بمصر<sup>31</sup> يعلوها جمور من النحاس، تقوم على قاعدة مربعة تتحول إلى قاعدة أسطوانية الشكل بواسطة أربعة مثلثات قطرها 2,50م وارتفاعها 1,50م، وهي بسيطة خالية من أي زخرفة وأضيفت قبة صغيرة نصف كروية في الركن الشمالي الغربي للجامع تسقف الغرفة الموجودة في هذا المكان.

**ج.4 - المئذنة:** للجامع مئذنة واحدة؛ وهو التقليد السائد في مساجد المغرب الإسلامي على عكس مساجد المشرق التي لها أكثر من واحدة<sup>32</sup>، المئذنة الأصلية للجامع تهدمت ولم تصفها لنا المصادر ولا المراجع، إلا ما جاء به الرحالة العياشي "...وطلعنا مئذنته وهي في غاية الإتيان والطول والسعة، تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها، وأدراجها مائة وأربع وعشرون درجة.."<sup>33</sup>، والورتلاني "...وصومعته ما أحسنها وما أوسعها.."<sup>34</sup>، أعيد بناؤها عام 1140هـ-1727م<sup>35</sup>، وبما أن مواد البناء المستعملة في المنطقة هشة فأكد أنها تهدمت ثانية وهذا ما تثبته الوثيقة التاريخية التي نفيدها " أنها هدمت وأعيد بناؤها سنة 1954م وفقا للمخطط الذي عثرنا عليه

بمقصورة الجامع المؤرخ بنفس السنة والذي يشبه كثيرا مخطط المئذنة الحالية، والصورة التاريخية التي عثرنا عليها نعتقد أنها تعود للمئذنة التي بنيت عام 1140هـ-1727م حيث كانت مربعة الشكل من القاعدة إلى القمة تتكون من قسمين:

— الأول: بدن المئذنة وهو مقسم إلى قطاعين:

\* قطاع سفلي: وهو الأكبر طولاً به ثلاث فتحات صغيرة مربعة الشكل من أجل التهوية والإضاءة؛ قد تكون هذه الفتحات موجودة في كل جهات المئذنة، وينتهي بحافة تبرز قليلاً عن الجدار.

\* القطاع العلوي: يمتاز بقصر ارتفاعه، به نافذتان مستطيلتا الشكل تنتهي كل منهما بقوس؛ قد تكون هذه النوافذ موجودة في كل جهات المئذنة، وينتهي بحافة تبرز قليلاً (أقل بروزاً من حافة القطاع السفلي) تعلوها أربع شرفات مثلثة الشكل ومرتجة في الزوايا الأربع.

— الثاني: البرج وهو برج صغير مربع الشكل ينتهي بسور منخفض، به أربعة شرفات مثلثة الشكل ومرتجة، في وسطه بريج يعلوه جمور من النحاس.

أما المئذنة الحالية؛ فتقع في الركن الشمالي الشرقي لبيت الصلاة مثل مآذن مساجد أولاد الإمام وسيدي إبراهيم وسيدي أبي مدين وسيدي الحلوي بنلمسان<sup>36</sup>، وقد اتبع في بنائها نظام المآذن المغربية وهي تشبه كثيراً المئذنة القديمة، مربعة الشكل تضيق كلما ارتفعت يبلغ ارتفاعها 17م كان لها باب يفتح في بيت الصلاة بارتفاع 1,80م وعرض 0,80م وسمك 0,70م وحول إلى الممر الموجود في الجهة الشمالية، وهي تتكون من قسمين:



— **البدن:** يبلغ ارتفاعه 13,5م وعرض كل من جوانبه الأربعة عند القاعدة 5م وعند القمة 4م تتوسطه نواة مركزية غير خاوية؛ أسطوانية الشكل بقطر 0,50م وطول ضلع البدن من الداخل في القاعدة 3,70م وفي القمة 3,20م، ترتكز درجاتها على أخشاب تربط النواة المركزية بجدار المئذنة، عددها 73 درجة، لكل واحدة منها ارتفاع 0,20م وعرض 0,90م وجوف 0,30م<sup>37</sup>، وفي الإصلاحات الأخيرة (1998) هدمت الدرجات والنواة المركزية للمئذنة وعوضت بنواة جديدة تلتف حولها الدرجات بشكل حلزوني عددها 72 درجة (بدلا من 73 درجة سابقا) بإرتفاع 0,20م وعرض 0,80م وجوف 0,30م وكلها مبنية بالحديد والإسمنت. أما من الخارج فينقسم البدن إلى قطاعين بواسطة حافة تبرز قليلا إلى الخارج عن جدار البرج بها حليات زخرفية بسيطة تتمثل في مثلثات صغيرة متتالية، في القطاع السفلي فتحتين صغيرتين مستطيلتي الشكل للتهوية والإضاءة بالواجهات الأربع، أما القطاع الثاني فيتميز بالعرض وقصر ارتفاعه، وبكل واجهة من واجهاته الأربع نافذتان يعلو كلا منها قوس منخفضة تفتح في مشكاة مجوفة مستطيلة على شكل نافذة، ينتهي بسور منخفض به أربع شرافات مثلثة الشكل في الزوايا الأربع.

— **البرج:** عبارة عن برج صغير مربع بإرتفاع 3,5م وطول ضلعه 2م، بسيط وغير مزخرف ينتهي بسور منخفض به أربع شرافات مثلثة متدرجة في زواياه الأربع، في وسطه بريج بسيط يعلوه جمور نحاسي.

### 3 — الدراسة الفنية :

يقصد بها دراسة الجانب الفني واستغلال عناصر زخرفية في تزيين وتجميل

البنية من الداخل والخارج، وهذه العناصر منها النباتية والهندسية والخطية؛

وهي قليلة وبسيطة في جامع سيدي موسى الخذري حيث نجد بالنسبة لـ:

أ – **العناصر النباتية:** يتميز هذا النوع بالبساطة، يقتصر على أوراق الأقمشة المنفذة على الجص الذي يزين التيجان، التي طمست ولم يبق منها إلا بعض المعالم.

ب – **العناصر الهندسية:** قليلة جدا بل تكاد تنعدم؛ تظهر في بعض الخطوط المنكسرة الموجودة في الحافة البارزة في بدن المئذنة التي ترسم مجموعة من المتلثات المتتالية.

ج – **العناصر الخطية:** تم استعمال خط الثلث في تنفيذ النقش التاريخي الوحيد للجامع، الموجود فوق لوحة من الرخام مستطيلة الشكل مقاساتها (0,65م X 0,40م)؛ كانت موجودة على الجدار الخارجي عند المدخل الرئيسي؛ تتضمن كتابة بالعربية وترجمته بالفرنسية؛ مضمونها:

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

– هذا مسجد الولي الصالح سيدي موسى الأخذري

– اسس بنيانه في عهد الاتراك في القرن

– العاشر من الهجرة النبوية رمم في سنة ١٩٥٠ »

نلاحظ وجود بعض الأخطاء مثل:

– كلمة (هاذا) التي كتبت بألف بين الهاء والذال بدل (هذا).

– عدم تساوي حجم الحروف وتركيبها وامتداد بعضها على البعض الآخر.

– عدم وجود الهمزة على الألف في كل من: أسس والأتراك والأخذري، مع

كتابة الأخذري بدل الخذري وتباين مضمون الترجمة باللغة الفرنسية؛ الذي

يرجع تأسيس الجامع إلى الأتراك بدل من عهد الأتراك كما جاء في النص العربي، مع ذكر التاريخ الميلادي (1550).  
وتفسيرنا لكل هذا أن: اللوحة تهدف إلى التأريخ لإصلاح الجامع وترميمه، مما دفع بعدم اهتمام الفنان بأسلوب الكتابة وجماليتها والتركيز على الجانب التأريخي فقط، أو عدم تحكم النقاش في قواعد اللغتين، أو تشويهه في النقش، و/أو صعوبة النقش على الرخام، وعدم مهارة النقاش.

### الخاتمة :

نصل إلى القول إن جامع الخذري بسيط في عمارته، فبيت الصلاة فيه قليل العمق ومئذنته مربعة الشكل على غرار مآذن المغرب الإسلامي، فهو ذو طابع معماري أصيل يعود إلى نموذج مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، ونابع من تفاعل الإنسان مع بيئته من حيث التصميم ومواد البناء، وتتوفر فيه الكثير من خصائص العمارة الإسلامية كخاصية الجوانبية وخاصية المقياس الإنساني إلا أنه لا يلقى الشيء الكثير من الرعاية والاهتمام من الجهات الوصية التي قامت بترميمه دون مراعاة ضرورة الحفاظ على طابعه المعماري المميز.

## مواش مراجع

- 1 - محمد فاضل بن الشيخ الحسين، البيئة الحضرية في مدن الواحات وتأثير الزحف العمراني على توازنها الإيكولوجي، رسالة دكتوراه دولة في العمران، جامعة قسنطينة، 2001، ص 263.
- \* ضبطها ياقوت الحموي في معجمه، المجلد 1، ص 422 كما يلي: بكسر الكاف وراء قال هي بلدة بالمغرب من نواحي الزاب، بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر وقصب جيد، وبينها وبين طينة مرحلة، هكذا ضبطها الحازمي وغيره يقول: بسكرة بفتح أوله وكافه.
- 2 - توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص 185.
- 3 - ابن حوقل أبي القاسم النصيبي (ت بعد 367هـ-977م)، كتاب صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ب ت، ص 87.
- 4 - أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، نشره دوسلان، المطبعة الحكومية، الجزائر 1857، ص ص 51-52.
- 5 - الإدريسي الشريف (ت 560هـ-1166م)، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية، من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، اعتنى بتصحيحه ونشره هنري بيري، الجزائر، 1957، ص 66.
- 6 - ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ-1406م)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج 6، ط 2، دار الكتب العلمية بيروت، 2003، ص ص 510-511.
- 7 - الوزان الفاسي الحسن بن محمد (ت 894هـ-1489م)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ج 1، ط 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ص ص 138-139.
- 8 - الورتلاني الحسين بن محمد السعيد (ت 1193هـ-1779م)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار (الرحلة الورتلانية)، مطبعة بيار فنتانا، الجزائر، 1908، ص ص 86-87.
- 9 - أبي سالم العياشي، ماء الموائد (الرحلة العياشية)، تحقيق محمد حجي، ج 2، ط 2، دار الغرب، الرباط، 1977، ص 409.
- 10 - أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، حققه عبد الكريم فلالي، مطبعة فضالة، المحمدية، 1967، ص 150.
- 11 - عبد العزيز شهبي، مساجد أثرية في منطقتي الزاب ووادي ريغ، رسالة دكتوراه الحلقة الثالثة غير منشورة، تخصص الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر، 1985، ص 20.
- 12 - أبو عبيد البكري، مصدر سابق، ص 52.

- <sup>13</sup> — الجلاي عبد الرحمان، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، صص 194- 196.
- <sup>14</sup> — أبي سالم العياشي، مصدر سابق، ص 409.
- <sup>15</sup> — الورتلاني، مصدر سابق، صص 87 ، 109.
- — أئمة الجامع القدامى والجدد منهم: أحمد بن تواتي، دالي علي محمد الكامل..؛ وفق ما صرح به الإمام الحالي.
- <sup>16</sup> — عبد الرحمن الجلاي، مرجع سابق، ج3، ص 62.
- <sup>17</sup> — مثل مسجد كتشاوة ومسجد سيدي عبد الرحمن ومسجد علي بتشين ومسجد صفر بالجزائر العاصمة؛ أنظر:
- Dokali. R., Les mosquées de la période turque à Alger, SNED, Alger, 1974, PP25-40
- ♦ — الدباب حجر جيري كلسي متوفر بكثرة في المنطقة.
- <sup>18</sup> — عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، صص 36-50
- <sup>19</sup> — عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، صص 44-49
- <sup>20</sup> — نفس المرجع، صص 82 - 83.
- <sup>21</sup> — محمود شافعي فريد، العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها الرياض، 1982، ص 2.
- <sup>22</sup> — GSELL. S, Op.cit , PP1- 6
- <sup>23</sup> — مؤنس حسين، المساجد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981، صص 197-198.
- <sup>24</sup> — رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، ديوان المطبوعات الجمعية، الجزائر، 1977، ص 290.
- <sup>25</sup> — عبد العزيز الشهبي، مرجع سابق، صص 61 - 69.
- <sup>26</sup> — رشيد بورويبة، مرجع سابق، ص 225.
- — يفسر تفاوت ارتفاع الدعامتين؛ باختلاف مستوى أرضية المسجد مع مستوى أرضية الشارع.
- <sup>27</sup> — رشيد بورويبة، مرجع سابق، صص 225- 226.
- <sup>28</sup> - **Bourouiba . R**, L'art Religieux Musulman en Algérie, S.N.E.D, Alger, 1973, P78.
- <sup>29</sup> — رشيد بورويبة، مرجع سابق، ص 226.
- <sup>30</sup> — حسين مؤنس، مرجع سابق، صص 53 - 54.
- <sup>31</sup> — زكي محمد حسن، فنون الإسلام، دار الرائد العربي، بيروت، 1981، ص 76.
- <sup>32</sup> — فريد محمود شافعي، مرجع سابق، صص 155- 159.

<sup>33</sup> — العياشي، مصدر سابق، ص 409.

<sup>34</sup> — الورتلاني، مصدر سابق، ص 87.

<sup>35</sup> — المخطوط الذي وجد في جدار صومعة المسجد عام 1952 .

<sup>36</sup> - Bourouiba R , OP. Cit, P274.

<sup>37</sup> — عبد العزيز شهبي، مرجع سابق، ص 123 - 125.